صراع...!

جلست ذات يوم مكتئب الفؤاد، قلق الفكر، مضطرب اللب، في وقت طال حتى صار كعشية من عشايا رمضان، أو كساعة كنت فيها على انتظار من تهوى مجالسته ومحادثته ورؤيته، ومن تجد له في اعماق نفسك حباً كمينا وهوى مبرحا، نعم امتد امتداداً وأنا أحس بشيء لا أعلم ـ والحق ـ مثيره، بل ولا أعلمه نفسه، وقلت لنفسي ـ أي قلت لي ـ يا سبحان الله! انني أراني كشخص أجهده المسير، واعيته طول المفازة ـ مفازة قفراء جدباء خلاء ـ وأرهقه الأوام اي ارهاق، تراني ذاهباً الى أين؟ أ الى مقصد ومرمى، أو انما خلقت لأذرع هذه الفلاة، وأدور حول هذه الدائرة الضيقة، لا أنزع عن نقطة الا ورجعت اليها على اضطرار؟ ليت شعري أكل البشر مثلي بؤساء؟ رباه! ما ذا عساك تقدر من مصائب لعبادك؟ أتريد بذلك تخليصهم وتصييرهم ذهباً محضاً بعد الحرق والارهاق والامتحان، أو انما قدرتك الفعالة تعذب الى غير انتهاء؟ ولما ذا لم تخلقهم بدون شوب، وتخرجهم في قالب سام بعيد عن الرجس والرفث والفسوق، والمادة بأسرها؟ أو تقصد شيئاً عجز عن ادراكه عقول الفحول، وفحول العقلاء؟ يقولون «العجز عن الادراك ادراك»، أو ترضى بأن يقال هذا؟ (1)

بينما اسبح في بحر هذه الوساوس العمياء، عفواً انني لا احسن السباحة، انما ينبغي ان اقول: بينما انا ملقى انخبط في هذا البحر القطم واذا برفيق يستاذن فدخل فحيا فجلس، وعلى الرغم من كوني بالغت في اخفاء ما كان ألم بي، وعلى الرغم من أني قاومت نفسي مقاومة الابطال على أن تظهر له بمظهر الفرح والاستبشار، وعلى الرغم من أني اشبعته حديثاً وابتسامات على الرغم من ذلك لم أشعر الا وقد بادهني:

— ماذا تحس؟ اني أرى وجهك تعلوه كآبة سوداء.

— لا شيء، انما هو اعياء بعد شقة.

— أراه كلالاً معنوياً وتغالطني.....

— ما ذا تقصد؟ ما فهمت مرادك

— أسألك عن الكآبة التي تظلل وجهك، وتملأ قسماته، وهو عنوان قلبك الاسيف، وأنت تذهب بي بعيداً، كيف يتسنى أن يؤثر الاعياء في القلب، وأنى للمادة أن تؤثر في الروح؟؟

لم أستطع الجواب، وبم اجيب؟ أ أكذبه الحقيقة؟ وأنا لا أعلم من أمر هذا الحزن شيئاً، واذا أنا في هذا البحر اذ صوب اليّ سهام قوله:

— قل فيما ذا تفكر؟ الا تعلم أن الفكر كالبير كلما نزفت ازداد ماؤها صفاءً وعذوبة؟ أفرغ من بير فكرك قليلاً علني أخفف من مصابك، أو أتحمل عنك بعضه.

— أ أفوه بشيء لا أدري ما هو ـ مبتداه وخبره ـ؟ أ أفض مشكلة ليس الى حلها من سبيل؟ أتريد الحقيقة؟ هي انني حزين اسيف، ولكن ذاك شيء أشعر به وغاب عني سببه، وهي حقيقة كثيرة الوقوع: تجد في نفسك كآبة أو فرحاً، فهم ولم والم؟؟؟ دعنا من هذا الآن، وحدثني قليلا عن تلك القصة التي طالما وعدتني بقصها عليّ، فانا الآن أميل الى الاستماع، وارغب في الحديث، انها احدوثة جديرة بالوقت الرهيب كالحال، قل فكلي آذان تنصت لما سألتك وكلي قلوب تعي روايتك.

فكأنما سكر من هول ذكر الماساة، وكأنما افرغ في قلبه ـ ايضاً ـ جام مفعم بالاكدار، فتنفس الصعداء واخرج من فيه شواظاً من نار، ينبيء عن اسى مستور، وذكرى مفجعة، واحمرت عيناه كالمثل او كالمفيق من نوم عميق، وكانه يقول لي بعينيه: عجباً! كنت السائل فصرت المسئول انك حزين ثم تريد الافراج بالحزن، ولكن ما اكثر ما يتمنى الحزين العذاب اذا تكاثرت عليه المهلكات، وعلى هذا يقولون «المصيبة اذا عمت هانت» اي اذا عمت الجسد كله استسلم لها اللب طائعاً خاضعاً، وكانه يلحاني عن جذب طرف هذا الحبل الذي ابلاه الدهر او كاد ولم يبق منه الا ذكرى نفسية اليمة خالدة يحتفظ حتى عن لوكها بلسانه، ثم انفجر كالبركان قائلا:

— فاس! آه على فاس من بلد ماكر لدود، بلد الفتون والجنون، ما قولك ـ رحمك الله ـ في بلد تحيى تحت سمائها ما شاء الله ان تحيى، وتعيش فوق غيرانها ما قدر لك ان تعيش. ثم لا تجد فيها صديقاً يقاسمك آلامك، ويشاطرك احزانك، ويكون لك ساعداً مساعداً، وحرزاً مكينا، وسداً مانعا، بل لا تجد فيها من يصافيك، ويعطيك من (المجاملة) بعض ما تمنحه من الصداقة؟ ما قولك ـ عافاك الله ـ في هذا البلد المشئوم الذي انفجرت فيه براكين من الحقد الممقوت،

(1) ليعذرني القارئ البصير على هذه التاملات الفجائية (الابتدائية) اذ انا اعتقد معه ان الله جلت قدرته يصرف أفعاله كيف يشاء ويحكم بما يريد، لا راد لحكمه، ولا رادع لمشيئته، ليطمئن بالا فانا معه على خط مستقيم.....؟

والانانية اللعينة ، فتلقى اهله ذلك راضين معجبين ؟ فاس ! آه على فاس ، بلد لست بالمصيب فيها في جميع اعمالك ، فأفعالك واقوالك كلها بلا استثناء مثيرة للسخرية بك واللعب بأغراضك : ها هو ذا يتبجح ويقع في الهذر ويتمشدق ، ويهرف بما لا يعرف ..... ها هو ذا يتأنق في لباسه ، ويتبختر ، ويرفل في ثياب الكبر والعنجهانية ، ويجر نفسه خيلاء ..... ، ها هو ذا لا يفرق بين الكوع والبوع ، ولا يعرف من الكلام بنت شفة ..... ، ها هو ذا بثياب قذرة وسخة ممزقة كان الله ادخر له جميع بلاياه ، وهكذا نستطيع ان نسترسل في مثل هذه التناقضات التي حذقوها وكانوا فيها من البارعين ...

أتريد نبراساً وضاء ينير لك طريق ما فهت به ؟ ذلك أنك سوف تبحث فيه ما وسعك البحث وسوف تنقب ما وسعك التنقيب ، عن شخص يبتغي الفن للفن ، يحب السمو للسمو ، يعشق الخلود للخلود ، وانى لك أن تجده ، سوف لا تلقى الا المادة سائدة غامرة عاملة عملها في الابناء والاباء ، الا قبح الله أمة تقدس المادة للمادة و .....

فقاطعته — مغضباً — ولكن ما حاجتنا الى هذا الهراء ؟ ما علاقة هذا بالسؤال ؟ بالاقصوصة ؟

— ما علاقة هذا بالسؤال ؟ انه الجواب عينه ، تلك احدوثتي يمكن لك — ان كنت فطناً — ان تستخلصها من غضون ذلك الهذيان وان اردت الا التصريح ، الا الرواية بنفسها ، فالى فرصة سانحة .

ثم استأذن للخروج ، فأبيت وابى ، وانا متأسف على عقل هذا المسكين المافون الذي لا اوافقه على شيء من خزعبلاته ولا اؤولها الا انها نفثة مصدور وتلك حالة الغضبان ، سامحه الله من مصاب معتوه ، وقلت لئن زارني في يوم من الايام لأقارعه الحجة بالحجة حتى يرعوى عن تلك الافكار الجافة ، ولكن من يدري ؟ لعل على كلامك مسحة من الصواب ، ولعلك انما تهذي وتتورط في خطأ عظيم انها لجرأة كبيرة تستحق النظر طويلاً : تثور على مجتمع ترى فيه من انواع الفساد ما ليس الى محقه من سبيل ، وضروباً من الضعف يعسر على المصلح ان يقضي عليها ، بيد انه يجب ان نقف قليلا ، وننظر مليا ، انك لتثور هذه الثورة ، وليتك ابنت علة هذه القومة العنيفة : مجتمع فاسد ، وامة ممعنة في فنون من الفسوق والجهل ، وانا يرون كل هذا ولا يتكلمون ، ان هذا لضلال مبين ، على انه فيم تثور أنت ؟ ان هذا الداء ليس شيئاً جديداً فقديماً شعر الناس بهذا ، وارادوا ان يكون قضاؤه على يدهم ، فاخفقوا وبقي العالم كما كان : نزعات لا تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، وعواطف لا تفنى على مرور الايام ، انظر الى قول ابي الطيب :

انا لفي زمن ترك القبيح به
من اكثر الناس احسان واجمال ...

لك الله يا ابا الطيب من آس للداء ، ومفكر اعياه اصلاح امته التي سيطر عليها الضعف ، فلتبق — اذن — ذلك المثير لنفس الانسان ...

اذ ذاك غشيني سبات سطحي لهول كلامه الفظيع ، واخيراً انتبهت فوجدت نفسي في فاس ! علال الجامعي الهلالي

ان صاحب المقال شاب وسيتقدم في المعمر وتبين له الاشياء ، وهو أيضاً اديب وفي كل زمان وفي كل مكان سخط الادباء على الوسط الذي يعيشون فيه ، وعلى كل حال فانا نرجو ان يعتني الشباب كثيراً بشيأين القصص والوصف ، فانهما خير وسيلة لخدمة اللغة العربية التي هي في حاجة اكيدة الى اسلوب الحكاية والى تصوير الاشياء لا بطريق التشبيه ولكن بالنقل المباشر ، فليكتبوا في ذلك ونحن ننشر لهم كل ما يكتبون كيفما كان الاسلوب وكيفما كانت الافكار اذ أن الشيء الذي يهمنا أولا هو خدمة اللغة بسائر الوسائل ، وثانياً التشجيع على الكتابة والصدع بما في الضمير ثم ان الزمان كفيل بوضع كل شيء في محله من بعد .

حول نهضة المرأة

بلغتنا ردود عن المقال الذي نشرناه في العدد السابق وسيقرأ بعضها القراء في العدد المقبل .

***

المؤسسات الخيرية

باريس — تأسست بالعاصمة الفرنسية جمعية خيرية ، وتتركب هيأة الادارة من السادة المغاربة : محمد بن محمد رئيس ، وصالح بن أحمد وعبد الله بن الحسن نائبين عن الرئيس ، ومحمد بن ابراهيم امين الصندوق ، والطيب بن محمد كاتب ، ومن الذين سعوا في تأسيس هاته الجمعية السادة أحمد بوهلال ، وأحمد بن عبد الجليل ، ومحمد بن الحاج عبد الواحد بن جلول ، ومحمد الفاسي ، وعبد السلام غنام ، الطلبة بباريس ، وهكذا يؤدي المغرب الاقصى في كل قطر رسالة الاحسان التي توفق الى القيام بها فنتجت عن ذلك حركة عامة سبق لنا ان اشرنا الى بعض آثارها في عدة بلاد اسلامية ويسرنا أن نرى لها اليوم أثراً في باريس أيضاً أنجح الله الاعمال وجازى المحسنين .

مجلة المغرب

Jh° 338

RÉDACTION ET ADMINISTRATION : Rue Jules-Poivre
RABAT
PUBLICITÉ : Agence de Casablanca - G. BECKER
137, Avenue Mers Sultan — Téléphone : 03-70

الادارة والتحرير: نهج جول بوافر بالرباط
الاعلانات : فرع الدار البيضاء ج . بيكير
137 شارع مرس سلطان ـ تلفون 03-70

احموا ثروتكم من السرقة والحريق واقتنوا

صناديق « فيشي » الحديدية

FICHET DE PARIS

اعلى نوع في العالم

الوكالة المغربية: 16 ساحة كينيمار بالدار البيضاء التلفون 01-26

يوجد لديه عدد كبير للاختيار ـ انواع ابتداء من 500 فرنك

الوكيل بالرباط: المسيو طيّب بشارع كاليني

انتريت

مشروب يصنع من النباتات الطبية النافعة للصحة.

وليس فيه كحول يبرد غلة العطش وهو كثير الاستعمال.

يباع في زجاجات صغيرة في الصيدليات وحوانيت الماكولات

ويخلط هذا المشروب في الماء والزجاجة الواحدة تصلح ٢٠١ الى ٧٥ ليترو من الماء.

محل البيع بالجملة بهذا العنوان

PERROT — ANTESITE — VOIRON (France)

ووكيل الدار بالمغرب م. تورنبي نائب انتزيت

صندوق البريد عدد ٢٠١ — بالدار البيضاء

للشهية !

اذا شئت أن تكون المعدة على قدر شهيتك

فاعتن بهـا كل العناية

ولتكن عمليات هضمها للطعام مستقيمة ولهذا فخذ كل يوم من

ملح الفاكهة من نوع اينو

التي ترى صورة زجاجتهـا يسرته

فهو خير علاج لكل اضرار المعدة من تعب أو سوء نظام — يوجد في كل الصيدليات

"SEL DE FRUIT" MARQUES **ENO** "FRUIT SALT" DÉPOSÉES

✡ مشروبـات « بـلارج » ✡

اذا كنت تهتم بصحتك فاشرب :

المـاء الطبيعي او الغازي المبيع في الزجاجات التي عليها صو ة

✡ البـلارج ✡

هي نقية خالية من الجراثيم المعدية ، وتباع بثمن :هيد جدا

واشربوا ايضا :

— الليمونادة التي عليهـا صورة —

✡ البـلارج ✡

فانهـا احلى الليمونادات واعطرهـا

معمل مشروبات « بـلارج » بالدار البيضاء وسائر مدن المغرب

BRASSERIE "LA CIGOGNE"

Casablanca et dans toutes les villes du Maroc